لَظَلَّ يَرْعَدُ إلا أنْ يَكُونَ لَهُ ... مِنَ الرَّسول بإذْنِ اللّهِ تَنْويلُ
حتّى وَضَعْتُ يَميني لا أنازِعُهُ ... في كَفِّ ذِي نِقَماتٍ قِيلُهُ القِيلُ
لَذَاكَ أهْيَبُ عِنْدِي إذْ أكَلِّمُهُ ... وقيلَ إنَّكَ مَسْبُورٌ و مَسْئُولُ
من ضَيْغَم من ضِراءِ الأسْدِ مُخْدَرُهُ ... بِبَطْن عَثَّرَ غِيلٌ دُونَها غِيلُ
يَغْدُو فيُلْحِمُ ضِرْغامَيْن عَيْشُهُمَا ... لَحْمٌ مِنَ الْقَوْم مَعْفُورٌ خَرَاذِيلُ
إذا يُساوِرُ قِرْنًا لا يحِلُّ لَهُ ... أنْ يَتْرُكَ القِرْنَ إلا وَهْوَ مَفْلُولُ
منه تَظَلُّ حَميرُ الوَحْش ضامِزَةً ... ولا تَمَشّى بِوَادِيهِ الأراجِيلُ
ولا يزالُ بِوادِيهِ أخُو ثِقَةٍ ... مُطَرَّحُ البَزِّ والدَّرْسان مَأكولُ (١)

وفي الأبيات التِّسعة الأخيرة صورتان انتزعهما الشّاعر من العالم الحيواني ، الأولى ربما تَحْمِلُ قارئ اليوم على الابتسام لما يخطر بباله من سذاجتها ؛ فهو يقول إنه رأى وسمع من وعيد الرّسول له ، ومِمّا حَلَّ بمن لهم مثلُ جُرمه ما لو رآه أو سمعه الفيل لظل يرتعد رعباً ، إلا أن يبذل له الرّسول الأمان ؛ ذلك أن قارئ اليوم قد تعوّد على رؤية الفيل في حدائق الحيوان ، أو في حلبات « السيرك » وقد امتطى ظهره الأطفال ، أو وهو ينقاد لأوامر مُرَوِّضه طيّعاً وديعاً ، ولهذا فإنه قد لا يَسْتَسيغ هذه الصُّورة التي أراد الشّاعر أن يهوِّل بها في تصوير ما أصابه من فزع . على أنه ينبغي علينا أن نضع أنفسنا في سياق مجتمع الشّاعر ، فالفيل قد ارتبط في أذهان عرب الجاهليّة وصدر الإسلام بتلك الحملة الجائِحَة التي تعرّض لها البيت الحرام ، وهي التي اقتحم فيها أبْرهة

(١) النّافِلَة : العَطِيّة ، التّنْويل : العَطاء ، والمراد هنا الأمان والعفو ، ذو نقمات : أي شديد الانتقام ، قيله القيل: قوله الصادق الحقُّ ، مَسْبور : مُمْتَحَن ، الضيغم : الأسد ، ضِراء : جمع ضارٍ وهو المفترس ، مُخْدَره : مَكْمنه أو غَيْضَته التي يتخذها خدراً له ، عَثَّر : موضع معروف بكثرة أسوده ، الغيل : الشجر الملتفّ ، يُلْحِمُ ضِرْغامَيْن : يُطْعِمهما اللّحم ، ويقصد بهما شِبْلَيْن شديدين له ، المَعْفور : المَصْروع الملقى في التراب، خَراذِيل : مُقَطَّع ، يُساوِر : يُواثِب ، المَفْلول : المكسور المحَطَّم ، ضامِزَة : ساكنة من هَيْبَته ، الأراجيل : الرِّجّالَة جمع راجل ، وهو الماشي على رجليه ، البَزّ : الثّياب ، الدّرسان : جمع دِرْس ، وهو الثوب البالي .